

وسنسمع المقترحات التي لا نهاية لها ، ولا تزال نسميها كثيرا حتى يتم لنا « التشكيل » المنشود ، وهو غير بعيد !

إننا في الواقع لا نعتقد أن هناك واجبا مفروضا على الكاتب غير الإجابة في موضوعه الذي يتناوله كائننا ما كان .. وليس هناك موضوع يكتب كتابه حسنة ثم لا يستحق أن يقرأ ولا يفيد إذا قرئ ' قراءة حسنة : فالبطل القديم الذي يدرس على الوجه الصحيح هو موضوع جديد في كل عصر من العصور ، والبطل الحديث الذي يساء درسه خسارة على القارئ ، والكاتب والبطل المكتوب عنه ؛ لأن العبرة بتناول الموضوع لا الموضوع ، والعبرة بأسلوب العصر الذي تتوخاه وليست بالسنة التي يدور عليها الكلام .. فالكتابة عن سنة ١٩٤٣ بأسلوب عتيق هي موضوع عتيق . والكتابة عن آدم وحواء بأحدث الأساليب الحديثة أو النقدية هي موضوع الساعة الذي لا يبلى . وأولى من الاقتراح على الكاتب أن يقترح على القراء أن يقرأوا كل ما ينفعهم كيفما اختلفت موضوعاته ، لا أن نشجع « الولد المدلل المموذ » على رفض كل ما على المائدة وطلب كل ما عدها !

هذه الكلمات ليست لي ، ولكنها للأستاذ المقاد يوم أن كان يكتب للرسالة .. لقد ابتلى المقاد يومئذ بهذه الطائفة من المقترحين فكاتب هذه الكلمات القيمة ؛ وابتليت أنا بها في هذه الأيام فلم أجد في الرد عليها خيرا من هذا الذي كتبه المقاد : ما أكثر المقترحين حقا وما أكثر المترشحين .. قارئ يقول لي ، في لهجة لا تخلو من السخط والاحتجاج : لقد حدثتنا عن سارتر ، وحدثتنا عن دستوريسكي ، وحدثتنا عن شو ، وحدثتنا عن بلزاك ، وحدثتنا عن ندرى ولا ندرى .. صدقني لقد شبنا حديثا عن الأدب والأدباء ، وبقي أن نتجه بقلبك إلى تلك الجوانب الأخرى التي يضطرب فيها الأحياء من حولك ؛ تلك الجوانب التي تصور واقع المجتمع الذي نميش فيه .. يا أخى عندنا فقر ومرض وجهل ، وعندنا من أخطار هذه الأمراض الاجتماعية ما هو كفيفيل بتحريك الشاعر وإثارة الأفلام ، فإلى متى ستظل مشغولا بنير وطنك ، وعملقا في غير أفتك ، وغافلا أو متغافلا من هذه المصيحات « القومية » التي تنطلق من هذه البقعة من بقاع الشرق ، لتفتح منافذ الفكر والشعور لتلك

تقديم

للاستاذ أنور الممداوي

بعض الظواهر في هبائنا الأدبية :

« بين جبهة القراء في اللغة العربية طائفة لا ترضى عن شيء ، ولا تسكت عن اقتراح ! ولا تزال تحسب أنها تفرض الواجبات على الكتاب والمؤلفين ، وليس عليها واجب تفرضه على نفسها .. إن كتبت في السياسة قالوا : ولم لا تكتب في الأدب ؟ وإن كتبت في الأدب قالوا : ولم لا تكتب في القصة ؟ وإن كتبت في القصة قالوا : ولم لا تكتب المسرح أو للصور المتحركة ؟ وإذا كتبت للمسرح والصور المتحركة قالوا : ولم لا نحبب لنا تاريخنا القديم ، ونحن في حاجة إلى إحياء ذلك التراث ؟ وإذا أحييت ذلك التراث قالوا : دعنا بالله من هذا وانظر إلى تاريخنا الحديث فنحن أحق الناس بالكتابة فيه .. وإن جمعت بين هذه الأغراض كلها قالوا لك : والقطن ؟ وشئون القرض الجديد ؟ ومسائل العمال ؟ ورؤوس الأموال ؟ وكل شيء إلا الذي تكتب لهم فيه !

وقد شبت هذه الطائفة مرة بالطفل الدال المموذ : يطلب كل طعام إلا الذي على المائدة ، فهو وحده الطعام المرفوض .. إن قدمت له اللحم طلب السمك ، وإن قدمت له الفاكهة طلب الحلوى ، وإن قدمت له صنفا من الحلوى ، رفضه وطلب الصنف الآخر ، وإن جمعت له بين هذه الأصناف تركها جيماء وتشوق إلى المدس والفول ، وكل ما كول غير الحاضر المبدول !

مر هذا الاشتهاء السقيم في هذه الطائفة معروف . سره أن الجمهور في بلادنا العربية لم « يتشكل » بعد على النحو الذي تشكلت به الجماهير القارئة في البلاد الأوروبية . وإنما نمد الجمهور القارئ متشكلا إذا وجدت فيه طائفة مستقلة لكل نوع من أنواع القراءة ، وإن ندر ولم يتجاوز المشغولون به المثات ..

فلماذا لا نترك النقد إلى القصة بعد أن عالجنا كل فن من فنونه ونفدت إلى كل زاوية من زواياه ؟ صدقني بأستاذ أن القصة هي أكثر ألوان الأدب رواجا وأحفظها بإقبال القراء ، ومن الخير لقلبك أن يقبل على هذا الإنتاج الذي يتلهم وشقي الميول وترضى عنه كافة الأذواق !

وقارى' خامس يقول لى ، في لهجة يتوقب فيها الخيال وتترى العاطفة : لست أدري لم تؤثر في هذه الأيام أن مخاطب المقول دون القلوب ؟ أين « قصة الدموع التي شابت » ، وأين « موكب الحرمان » ، وأين تلك النفحات الوجدانية التي كنت تطالمتها من حين إلى حين ؟ إن ومضات الفكر بما فيها من جفاف لتجوج أرض النفوس إلى قطرات من المطر ، هذه القطرات المنسقة من أدب الشموخ والوجدان !

وقارى' سادس وسابع وثامن ، ورقيات متنافرة وأخرى متناقضة ، وسبحان من يرضى جميع العباد . وأقف أنا حاراً بين أنصار الأدب وبين أنصار القصة ، وبين أشياع الفن للفن ، وبين أشياع الفن للمجتمع ، وبين أصحاب الفكر وبين أصحاب العاطفة ؛ ومصدر الحيرة أنني كتبت للجميع فلم أستطع أن أرضى الجميع ، لأن كل فريق يريدنى على أن أكتب وفق هواه !

لقد كتبت عن الفقر ، وكتبت عن الجهل ، وكتبت عن المرض ، وكتبت عن هموم الشباب وحيرة الشباب ، وكتبت عن القصة وفي القصة ، وكتبت عن النقد وفي النقد ، وكتبت عن أدباء الشرق وأدباء الغرب ، وكتبت في مختلف الشئون وفي أكثر الموضوعات : منها ما يتصل بالفن ، ومنها ما يتصل بالفلسفة ، ومنها ما يتصل بالتاريخ ، ومنها ما يتصل بالسياسة ، ومنها ما يتصل بالمجتمع .. ولكن المشكلة كما يصورها الأستاذ المقاد فيبدو في التصوير ، هي أن هذه الطائفة من المقترحين أشبه بالطفل الدال المموود : « يطلب كل طعام إلا الذي على المائدة ، فهو وحده الطعام المرفوض ... إن قدمت له اللحم طلب السمك ، وإن قدمت له الفاكهة طلب الحلوى ، وإن قدمت له صنفاً من الحلوى رفضه وطلب الصنف الآخر ، وإن جمعت له بين هذه الأصناف تركها جميعاً وتشوق إلى المدس والفول ، وكل ما كره غير الحاضر المبدول » !

الصيحات « الفنية » التي تأتيك من بقاع الغرب ! إن كلمة عن الفقير الذي يبحث عن لقمة العيش ، أو عن الجاهل الذي يبحث عن أضواء العلم ، أو عن المريض الذي يلتمس ثمن الدواء ، لأجدى ألف مرة من فصل يكتب عن سائر أو يكتب عن دستوففسكى أو يكتب عن برنارد شو وبلازك !

وقارى' آخر يقول لى ، في لهجة لا تخلو هي أيضاً من المعجب والإنكار : يخيل إلينا أنك تحترم الأدب الغربى أكثر مما تحترم الأدب العربى ، وتفضل ثقافة الأبعد على ثقافة الأقارب ، وتقدر أولئك حيث لا يظفر منك هؤلاء بمثل هذا التقدير .. أو تعتقد أن في أدب الغرب ناقداً مثل عبد القاهر ، أو كاتباً مثل الجاحظ ، أو شاعراً مثل المتنبي ، أو باحثاً مثل ابن خلدون ، أو حكماً مثل أبي الملاء ؟ يا أخى عندنا في مجال الأدب والفكر أقطاب وأعلام ، فلماذا لا تخصصهم بمثل ما خصصت به الآخرين من البحث والدراسة ، ومن النقد والراجعة ، ومن المرض الأمين الذى يبرز قيم المواهب والملاكات ؟ إن في التراث العربى كنوزاً تزرع بكل ما هو ثمين ونفيس ، فلماذا لا تسمح لقلبك بأن يعرج على تلك الكنوز النادرة ليرفع عنها الغطاء ؟ !

وقارى' ثالث يقول لى ، في لهجة تفيض بالأسف وتنعج بالإشفاق : لماذا أهملت نقد الكتب كل هذا الإهمال ؟ صحيح أن أكثر كتابائك في النقد ، ولكننا نريد نقد الكتب بالذات .. ترى هل أمسكت قلبك عن الكتابة لأن الإنتاج الأدبى في مصر لا يرضيك ؟ وإذا كان ذلك كذلك ، فهل من الأمانة العلمية أن تسكت عن السيوب لأنها عيوب ، وتنصرف عن المآخذ لأنها مآخذ ، وتشغل عن رسالة النقد مع أن أساسها الأول هو توجيه الخطى وتحديد الهدف وتعميد الطريق ؟ ألا تشرأنك تتخلى عن ميدان ترى نحن القراء ما يكثفه من أزمة في كتابه ، ونجوس بقلبك خلال ميادين أخرى لا تشك أنت أنها تشكو النخمة التي تعقب الشيع والامتلاء ؟ !

وقارى' رابع يقول لى ، في لهجة بالظن التذكير وظاهرها التأثير : لقد طرقت أبواب القصة في يوم من الأيام ، وأثبت أن ملكتك القاصة لا تقل نصجاً وأصالة عن ملكتك الناقدة ،

إن على محمود طه أشعر من هؤلاء ومنهم أبو ماضي ، فهل غيرت رأيك في شعر الشعراء فأنصفت على طه اليوم كما أنصفت شوقي من قبل ؟ ذلك ما أرجو معرفته . والسلام عليك وعن ينتظر كتبك الثلاثة وما يلها

الحبيب هنتقى الشريف

« مجلة مرحوم »

أما أنني قد غيرت رأيي في شعر الشعراء فأود أن أقول للأديب الفاضل إن شيئاً من هذا لم يحدث .. وأما أنني قد كتبت من أبي ماضي بالأمس وأضماً إياه على رأس شعراء الشباب فأود أن أقول للأديب الفاضل مرة أخرى إن هذا قد حدث ، وأزبد عليه أنني كنت أتوقع أن يذكرني قارى فطن بهذا الذي كتبت ، بعد أن رددت على الأستاذ مجذوب بما قد يومه الكثيرين بأنه مناقض لما سبق أن قلت .. لقد كنت أتوقع من فطنة القراء مثل هذا التذكير لأروى هذه القصة ، إنصافاً للحقيقة وإنصافاً للتاريخ : كان شاعرنا الخالد على محمود طه يوم أن كتبت تلك الكلمة مقارناً بين الشعر القديم والشعر الحديث ، كان رحمه الله سديقاً لي وكان على قيد الحياة .. وأمسكت بالتليفون لأتحدث إليه وهو وكيل لدار الكتب المصرية ، لأتحدث عن موضوع تلك الكلمة ولأقول له : لقد كان يجب أن أضع اسمك بدلاً من اسم أبي ماضي على رأس شعراء الشباب ، ولكن « صداقتي » لك قد ضنطت على قلبي حتى أرغمته على ألا يذكر مع شديد إعجابك بك وعميق تقديره لك ، ذلك لأن الناس قد بدأوا على أنهم الصداقة في مواقف النقد البري والأحكام المادلة .. ومع ذلك فأعتقد أنني قد اخترت اسماً آخر لا يجادلني في اختياره إلا كل بعيد عن تذوق الشعر وكل منكر لمكانة الشعراء ! وأجاب الشاعر الخالد رحمه الله في صوت مخمض ونبرات صادقة : « إنني أقدر أبا ماضي وأقدر شعره ، ولا أستطيع أبداً أن أعترض عليك حين تضمه في مكانه ثم لا تنس أن اختيارك لي كان كفيلاً بأن يرضك لنوع آخر من الأنعام أعرف أنك تحاربه وتضيق به ، وهو المصيبة الإقليمية وذلك حين تضع على رأس شعراء الشيوخ والشباب شاعرين مصريين !!

من هذه القصة يتبين للأديب صاحب الرسالة أن رأيي في

إن ردى على هؤلاء المقترحين والمترشحين هو أن أقول لهم اليوم كما قال العقاد لأمثالهم بالأمس : إننا في الواقع لا نتقدم أن هناك راجباً مفروضاً على السكائب غير الإجابة في موضوعه الذي يتناوله كاتباً ما كان . وأولى من الاقتراح على السكائب أن نقترح على القراء أن يقرأوا كل ما يفهمهم كيفما اختلفت موضوعاته ، لا أن نشجع « الولد المدلل الممرد » على رفض كل ما على المائدة وطالب كل ما عداها !

في محيط الشعر والشعراء :

قرأت في العدد الأخير من مجلة الرسالة القراء ضمن تعقيباتك القيمة ، كلمة الأستاذ محمد المهدي مجذوب ، وهي الكلمة التي كتبها عن تلك المباراة الشعرية التي جعلتها بدوئك الرفيع مباراة نقدية : « لقد رأى الأستاذ - حسب ذوقه الخاص - أن الشوام أشعر من المصريين ، فكان ردك على هذه الكلمة هو أنك قلت له : « وتبقى بعد هذا كله إشارة الأستاذ الفاضل إلى شعرائنا وشعراء الشام .. أتريد مقارنة ؟ أرجو أن تنظر في شعر على محمود طه ، وأن تسميد النظر فيما كتبت عنه من فصول ، ثم قارن أنت .. قارن بينه وبين شعر أبي ماضي ، أو بينه وبين شعر أبي شبكة ، أو بينه وبين شعر أبي ريشة » !

إن القارى يفهم من هذه العبارة أنك تفضل على محمود طه على غيره ممن ذكرت ، ومع إعجابي بالشاعر الخالد وبخاصة بعد أن قرأت لك تلك الفصول القيمة التي كتبها عن فنه وعطرت بها صفحات الرسالة ؛ مع هذا فقد تذكرت أنك وضعت أبا ماضي في مكان عال من شعراء « الأداء النفسي » ، حيث قلت في العدد (٨٤٧) من الرسالة وكنت تقارن بين الشعر القديم والحديث : « وإذا قلنا الشعر العربي الحديث فإنما نعني ذلك الشعر الذي بدأت مرحلته الأولى بتلك المدرسة من بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم (شوقي) وبدأت مرحلته الثانية بتلك المدرسة الأخرى من بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم (إيليا أبو ماضي) !

إنني يا سيدي الأستاذ أقارن بين ما كتبت اليوم وبين ما كتبت به بالأمس ، فأجد فارقاً كبيراً بين الكلمتين .. فبالأمس كنت نضع أبا ماضي على رأس شعر الشباب ومنهم على محمود طه ، واليوم نقول